بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة بتاريخ ٢٠١٨/١/٨ الموافق ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٩ هـ

عِلْمُ الدِّينِ حَياةُ الإِسْلامِ (الجُزْءُ الأَوَّل) الحَثُّ عَلى التَّعَلُّم

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَهْدِيهِ ونَشْكُرُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ ونَتُوبُ إِلَيْه، ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ. الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ورَفَعَ شَأْنَ العُلَماءِ عَلى مَنْ دُونَهُمْ فَلاَ يَسْتَوُونَ وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الواحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً ولا وَلَدًا، جَلَّ رَبِّي لا يُشْبِهُ شَيْئًا ولا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ ولا يَحِلُّ في شَيْءٍ ولا يَنْحَلُّ مِنْهُ شَيْء، جَلَّ رَبِّي وتَنَزَّهَ عَنِ الأَيْنِ والكَيْفِ والشَّكْلِ والصُّورَةِ والحَدِّ والجِهَةِ والْمَكان، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير. وأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا وحَبِيبَنا وعَظِيمَنا وقائِدَنا وقُرَّةَ أَعْيُنِنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ وصَفِيُّهُ وحَبِيبُهُ الَّذِي أَرْشَدَنا إِلى طَرِيقِ الخَيْرِ والهُدَى والنُّور. وصَلّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي عَلَّمَ النّاسَ الخَيْرَ وأَرْشَدَهُمْ إِلى ما فِيهِ خَيْرُهُمْ وصَلاحُهُمْ وفَلاحُهُمْ في الدُّنْيا والآخِرَةِ وعَلى ءالِهِ وصَحابَتِهِ الطَّيِّبِينَ الطاهِرِين.

أَمّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ ونَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ العَلِيِّ القَدِير. إِخْوَةَ الإِيمانِ إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى مَدَحَ العُلَماءَ في كِتابِهِ العَزِيزِ فَقالَ ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾**﴾[1] وقال تعالى ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾**﴾[2] فانْظُرْ أَخِي الْمُؤْمِنَ كَيْفَ جاءَ في الآيَةِ ذِكْرُ اللهِ ثُمَّ الملائِكَةِ ثُمَّ أَهْلِ العِلْمِ وناهِيكَ بِهَذا شَرَفًا وفَضْلاً وجَلاءً ونُبْلاً.

[1] سورة المجادلة

[2] سورة ءال عمران

ولَمْ يَجْعَلِ اللهُ عَزَّ وجَلَّ العُلَماءَ كَغَيْرِهِمْ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَوُونَ فَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ في سُورَةِ الزُّمَرِ ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ۝٩**﴾[٣] لاَ وَاللهِ لا يَسْتَوُونَ .. كَيْفَ يَسْتَوِي العالِمُ والجاهِلُ والعُلَماءُ العامِلُونَ هُمْ أَخْشَى للهِ مِنْ غَيْرِهِمْ وما الكَرامَةُ عِنْدَ اللهِ إلاّ بِالتَّقْوَى كَما أَخْبَرَ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالى في القُرْءانِ الكَرِيمِ فَقالَ ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣**﴾[٤] ولا يَكُونُ الْمَرْءُ مِنَ الْمُتَّقِينَ إلاّ بِعِلْمٍ ما أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ فَيُؤَدِّيهِ وعِلْمٍ ما حَرَّمَ اللهُ فَيَجْتَنِبَهُ. كَيْفَ يَسْتَوِي العالِمُ والجاهِلُ ورَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَقُولُ **العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ** اه وأَيُّ شَيْءٍ وَرَثَ العُلَماءُ مِنَ الأَنْبِياءِ إِنَّما وَرَثُوا العِلْمَ كَما قالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ **وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ** اه

إِنَّ لِلْعالِمِ إِخْوَةَ الإِيمانِ فَضْلاً ومَزِيَّةً فَإِنَّ العالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ حَتَّى الحِيتانَ في البَحْرِ.

ولِزِيادَةِ بَيانِ فَضْلِ العالِمِ العامِلِ عَلى العابِدِ الَّذِي حَصَّلَ ما يَكْفِي مِنْ عِلْمِ الدِّينِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ في ذَلِكَ إِلى دَرَجَةِ العالِمِ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ **فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ** اه وقالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ **وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ** اه وما ذاكَ إلاَّ لِعُمُومِ نَفْعِ العالِمِ بِخِلافِ العابِدِ فَإِنَّ نَفْعَهُ مَقْصُورٌ عَلَيْه.

إِنَّ لِلْعِلْمِ مَنْزِلَةً رَفِيعَةً إِخْوَةَ الإِيمانِ ويَكْفِي عَلى ذَلِكَ دَلِيلاً أَنَّ مَنْ لا يُحْسِنُهُ يَدَّعِيهِ ويَفْرَحُ بِهِ إِذا نُسِبَ إِلَيْه، ويَكْفِي دَلِيلاً عَلى ذَمِّ الجَهْلِ أَنَّهُ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيه، وقَدْ جاءَ عَنْ نَبِيِّنا الأَكْرَمِ صَلَواتُ اللهِ وسلامُهُ عليْهِ الحَثُّ البَلِيغُ عَلى طَلَبِ عِلْمِ الدِّينِ فَقالَ لِأَبِي ذَرٍّ فِيما رَواهُ ابْنُ ماجَه **يَا أَبَا ذَرٍّ لأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ العِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ** اه أَيْ مِنَ النَّوافِلِ. ووَرَدَ عَنْهُ عليْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِيما رَواهُ البَيْهَقِيُّ في شُعَبِ الإِيمانِ **مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيءٍ أَفْضَلَ مِنْ فِقْهٍ فِي الدِّينِ** اه وقالَ عليْهِ الصَّلاةُ والسّلامُ **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ** اه[٥]

اللهَ اللهَ إِخْوَةَ الإِيمان، أَخْبَرَنا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَنَّ عَلامَةَ فَلاحِ الْمَرْءِ وإِرادَةِ اللهِ الخَيْرَ لِعَبْدِهِ أَنْ يُفَقِّهَهُ في الدِّينِ فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِلْخَيْر. فَهِمَ هَذا عُلَماءُ الأُمَّةِ فَشَمَّرُوا وطَلَبُوا العِلْمَ حَتّى بَلَغُوا ما بَلَغُوا ولِذَلِكَ قالَ الإِمامُ الشافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِنَّ الاِشْتِغالَ بِطَلَبِ العِلْمِ أَفْضَلُ

[٣] سورة الزمر

[٤] سورة الزمر

[٥] رواه البخاري

ما تُنْفَقُ فِيهِ نَفائِسُ الأَوْقاتِ اه وذَلِكَ لِأَنَّ في طَلَبِ العِلْمِ حِفْظُ النَّفْسِ وحِفْظُ الغَيْر. الاِشْتِغالُ بِطَلَبِ العِلْمِ إِخْوَةَ الإِيمانِ أَفْضَلُ ما تُنْفَقُ فِيهِ الأَوْقاتُ .. أَفْضَلُ مِنْ نَوافِلِ العِباداتِ البَدَنِيَّةِ لِأَنَّ نَفْعَ العِلْمِ يَعُمُّ صاحِبَهُ والناسَ وأَمّا النَّوافِلُ البَدَنِيَّةُ فَمَقْصُورَةٌ عَلى صاحِبِها، ولِأَنَّ العِلْمَ مُصَحِّحٌ لِغَيْرِهِ مِنَ العِباداتِ فَهِيَ تَفْتَقِرُ إِلَيْهِ وتَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ ولا يَتَوَقَّفُ العِلْمُ عَلَيْها فَإِنَّ العابِدَ الجاهِلَ قَدْ يَقُومُ بِعِبادَةٍ فاسِدَةٍ تَكُونُ وَبالاً عَلَيْه، ولِأَنَّ العُلَماءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وأَتَمُّ التَّسْلِيمِ ولَيْسَ ذَلِكَ لِلْمُتَعَبِّدِينَ غَيْرِ العُلَماء، ولِأَنَّ العِلْمَ يَبْقَى أَثَرُهُ بَعْدَ مَوْتِ صاحِبِه، ولِأَنَّ في بَقاءِ العِلْمِ إِحْياءً لِلشَّرِيعَةِ وحِفْظًا لِمَعالِمِ الْمِلَّةِ فَعِلْمُ الدِّينِ حَياةُ الإِسْلامِ ولِذا جاءَ في الحَدِيثِ **وَلَفَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ** اه[٦] فَإِنَّ الشَّيْطانَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُزَيِّنَ لِلْعابِدِ الجاهِلِ عَمَلاً باطِلاً فَيُوقِعَهُ فِيهِ ويُضِلَّهُ وغَيْرَهُ بِهِ وأَمّا العالِمُ الَّذِي هُوَ حَقُّ العالِمِ فَيَغْلِبُ الشَّيْطانَ بِعِلْمِهِ فَيَحْفَظُ إِسْلامَهُ وإِسْلامَ غَيْرِهِ مِنَ النّاس.

إِخْوَةَ الإِيمانِ، عِلْمُ الدِّينِ حَياةُ الإِسْلامِ لِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِطَلَبِ الاِزْدِيادِ مِنَ العِلْمِ ولَمْ يَأْمُرْ نَبِيَّهُ في القُرْءانِ بِطَلَبِ الاِزْدِيادِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ مِنَ العِلْمِ فَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴿١١٤﴾﴾ فاقْتَدُوا بِنَبِيِّكُمْ صَلّى اللهُ علَيْهِ وسَلَّمَ واطْلُبُوا عِلْمَ الدِّينِ وشُدُّوا الهِمَّةَ لِتَحْصِيلِهِ والتَّقَوِّي فِيهِ فَفِي ذَلِكَ الفَضْلُ والدَّرَجَةُ الرَّفِيعَةُ في الآخِرَةِ وحِفْظُ أَنْفُسِكُمْ وأَهْلِيكُمْ وبِلادِكُمْ وإِسْلامِكُم، وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيّاكُمْ لِما يُحِبُّ وَيَرْضَى.

أَقُولُ قَوْلِي هَذا وأَسْتَغْفِرُ الله.

[٦] رواه البيهقي في شعب الإيمان

الخطبة الثانية

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيه ونشكره، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سَيِّدِنا محمَّدٍ الصادِقِ الوَعْدِ الأَمِينِ وعَلى إِخْوانِهِ النَّبِيِّينَ والْمُرْسَلِين. ورَضِيَ اللهُ عَنْ أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ وءالِ البَيْتِ الطّاهِرِينَ وعَنِ الخُلَفاءِ الراشِدِينَ أَبي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ وعَلِيّ وعَنِ الأَئِمَّةِ المُهْتَدِينَ أَبي حَنيفَةَ ومالِكٍ والشافِعِيّ وأَحْمَدَ وَعَنِ الأَوْلِيَاءِ والصَّالِحِينَ أَمَّا بَعْدُ عِبادَ اللهِ فإني أُوصيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ العَلِيّ العَظيمِ فاتَّقُوهُ.

Esclave de *Allah*, je vous recommande ainsi qu'à moi-même de faire preuve de piété à l'égard de *Allah Al-^Aliyy, Al-Qadir*. Mes frères de foi, *Allah tabaraka wata^ala* a fait l'éloge des savants dans Son Livre honoré, Il a dit ce qui signifie : « ***Allah* crée les preuves qu'il n'est de dieu que Lui ; et les anges et ceux qui ont la science témoignent qu'il n'est de dieu que *Allah* et Qu'Il est juste en ce qu'Il prédestine ; il n'est de dieu que Lui *Al-^Aziz Al-Hakim*.** »

Mon frère croyant, observe bien ce qui est parvenu dans cette *'ayah* : il est fait mention de *Allah,* puis des anges puis des gens de science. Et ceci est un honneur et un mérite clair pour les gens de science. *Allah ^azza wajall* n'a pas fait que les savants soient comme ceux qui ne le sont pas. Il a annoncé qu'ils ne sont pas équivalents. *Allah ^azza min qa'il*, dit dans *sourat Az-Zoumar* ce qui signifie : « **Dis : Sont-ils équivalents ceux qui savent et ceux qui ne savent pas ?** »

Non par *Allah* ! Ils ne sont pas équivalents ! Comment le savant et l'ignorant auraient-ils un même degré alors que le Messager de *Allah* ﷺ dit ce qui signifie : « ***Les savants sont les héritiers des Prophètes.*** »

Et les savants, qu'ont-ils hérité des prophètes ? Ils ont hérité la science tout comme le Prophète ﷺ l'a dit ce qui signifie : « ***Les prophètes n'ont pas laissé en héritage des dinars ni des dirhams ; ils ont laissé en héritage la science. Celui qui l'obtient aura donc obtenu quelque chose de très grande valeur.*** »

La science, mes frères de foi, a un haut degré ; C'est une preuve suffisante de voir que celui qui n'a pas de science est toujours content qu'on dise de lui qu'il est savant. Et c'est une preuve suffisante que l'ignorance est blâmable de voir que celui qui est ignorant cherche toujours à s'innocenter de sa propre ignorance.

Et le Prophète ﷺ a dit ce qui signifie : « ***Celui pour qui Allah veut un bien, Il lui fait apprendre la science de la religion.*** »

L'imam *Ach-Chafi^iyy* que *Allah* l'agrée, a dit : « *Se consacrer à l'apprentissage de la science de la religion est l'une des meilleures choses auxquelles passer le plus précieux de son temps.* »

La science de la religion est donc la vie de l'Islam et c'est pour cela qu'il est parvenu dans le *hadith* [rapporté par *Al-Bayhaqiyy* dans *Chou ^abou l-'Iman*] ce qui signifie : « ***Un seul spécialiste de science de la religion est plus fort contre le chaytan que mille adorateurs***. »

Mes frères de foi, la science de la religion est la vie de l'Islam, pour cela *Allah* a ordonné à Son messager de demander à augmenter en science et Il n'a ordonné à Son prophète, dans le *Qour'an*, de demander à augmenter en quoique ce soit d'autre qu'en science.

Allah ^azza min qa'il dit ce qui signifie : « **Dis : Ô Seigneur augmente-moi en Science.** »

Alors prenez pour exemple et pour modèle votre Prophète ﷺ et demandez la science de la religion, faites preuve d'ardeur pour l'obtenir et vous renforcer dans la science car il y a en cela le mérite et les hauts degrés dans l'au-delà ; il y a en cela la préservation de vos personnes et de vos familles, de vos pays et de votre Islam.

Que *Allah* nous accorde ainsi qu'à vous la réussite pour accomplir ce qu'Il aime et agrée.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرٍ عَظيمٍ، أَمَرَكُمْ بِالصَّلاةِ وَالسَّلامِ عَلى نَبِيِّهِ الكريمِ فَقالَ ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾**﴾[٧]. اَللَّهُمَّ صَلِّ على سَيِّدِنا محمدٍ وعلى ءالِ سيدِنا محمدٍ كَمَا صَلَّيْتَ على سيدِنا إبراهيمَ وعلى ءالِ سيدِنا إبراهيمَ وبارِكْ على سيدِنا محمدٍ وعلى ءالِ سيدِنا محمدٍ كَمَا بارَكْتَ على سيدِنا إبراهيمَ وعلى ءالِ سيدِنا إبراهيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، يَقولُ اللهُ تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾**﴾[٨]،اَللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْناكَ فاسْتَجِبْ لَنَا دُعاءَنَا فاغْفِرِ اللَّهُمَّ لَنا ذُنوبَنَا وَإِسْرافَنا في أَمْرِنا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ الأَحْياءِ مِنْهُمْ وَالأَمْواتِ رَبَّنا ءاتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النَّارِ اللَّهُمَّ اجعَلْنَا هُداةً مُهْتَدينَ غَيْرَ ضالِّينَ وَلا مُضِلِّينَ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتِنا وَءَامِنْ رَوْعاتِنا واكْفِنا ما أَهَمَّنا وَقِنَا شَرَّ ما نَتَخَوَّفُ اللَّهُمَّ اجْزِ الشَّيْخَ عَبْدَ اللهِ الهَرَرِيَّ رَحَماتُ اللهِ عَلَيْهِ عَنَّا خَيْرًا. عِبادَ اللهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتَاءِ ذي القُرْبَى وَيَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ وَالمنْكَرِ وَالبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. أُذْكُرُوا اللهَ العَظيمَ يُثِبْكُمْ واشْكُرُوهُ يَزِدْكُمْ، واسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ واتَّقُوهُ يَجْعَلْ لَكُمْ مِنَ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا، وَأَقِمِ الصَّلاةَ.

[٧] سورة الأحزاب

[٨] سورة الحج